التداخل اللغوي والثقافي

عند الطبيب ابن زهر من خلال كتابه «التيسير»

الأستاذ جعفر يايوش
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

تمهيد:

إذا ما أردنا تفكيك هذا العنوان إلى مركباته الأصلية، معناه الوقوف على مظاهر التجديد والتقليد في المباحث الطبية لأبي مروان عبدالملك بن أبي العلاء إبن زهر 557 هـ / 1162 م (*)، ولا يتم هذا العمل إلا بإجراء التنقيب والتقويم لهذا التراث، ولكن استيعاب المستويات المضمونية للنص الطبي لا يتأتى إلا إذا أحيط علما بالوسائل والكيفيات اللغوية المنطقية المنتجة للمضامين بالآليات الأصلية.

وبما أن كتاب « التيسير » عبارة عن « نصوص »، فلابد إذن أن يحدد آلياتها اللغوية، وآلياتها العقلانية، من أجل الوقوف على العناصر الأولية والأسباب الجوهرية لأي موقف أو رأي طبي، وهذه هي مرحلة التعليل أو المسماة بـ« التأويل » لأن هذه « النصوص » الطبية أولا وأخيرا، هي جهد بشري يمكن تحديده في صورتين متلازمتين، صورة « العقل المكون (la raison constitu-ante)، والعقل المكون (la raison constitiuée) ، حسب رأي لالاند، إذ يقصد بالأول: النشاط الذهني الذي يقوم به العقل حين البحث والدراسة والذي يصوغ المفاهيم ويقرر المبادىء، أما الثاني فهو مجموع المبادىء والقواعد التي نعتمدها في إستدلالاتنا، والذي يهمنا بالدرجة الأولى هو العقل المكون إذ منه يتأسس النظام المعرفي (مفاهيم، تصورات...)، الذي يعطي للمعرفة في فترة تاريخية ما بنيتها اللاشعورية.(1)

(*)انظر حول ترجمة الطبيب أبي مروان عبدالملك بن أبي العلاء زهر إبن زهر الإيادي (ت557. هـ / 1162م)، المصادر التالية: ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، طبعة روخس - مجريط- مدريد) 1887 م ، مج2، ص 616، ترجمة رقم 1717، ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، دار الثقافة، بيروت، لبنان ط 3 ، 1401 هـ / 1981 م ، ج 3 ص ص 106 - 109، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان (د.ت)، ص 179، المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان (د.ت) ، السفر الخامس، القسم الأول ، ص ص 18 - 19،محمد بن محمد إبن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - 1349 هـ، ج1، ص 131 - ترجمة رقم 383.

(1) أندري لالاند: العقل والمعايير، ترجمة نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979 م ،ص 12.

ونقصد بكلمة «بنية» وجود ثوابت ومتغيرات، ومن ثمة فنحن نعني ثوابت ومتغيرات الثقافة العربية التي صنعت هذا النظام العربي الطبي.

وهل يعني هذا توحيد بين «العقل» و«الثقافة» التي ينتمي إليها على أساس أنهما مظهران لـ«بنية» واحدة؟.

فإذا ما اتفقنا وتواضعنا على هذا المفهوم، لابد من إرداف شرط مقيد وهو: «الثقافة هي ما يبقى عندما يتم نسيان كل شيء» (2)، إن ما يبقى هو «الثابت»، وما ينسى هو «المتغير» إن المتبقي هو ثوابت الثقافة العربية الإسلامية، هو العقل العربي ذاته.

الآن يمكن رفع المزدوجتين من علي المفهوم، مفهوم العقل العربي الذي عنينا برسم حدوده ومواصفاته، كي ننتقل إلى مرحلة «المحاجة» و«المساءلة»، ما هو الثابت المتبقي في كتاب «التيسير» لأبي مروان ابن زهر؟ وماهو المتغير فيه؟.

للإجابة عن هذا السؤال، لابد من الإشارة إلي أن كل شيء في هذا الوجود له ظاهر وباطن وعليه فالفعل البشري له ظاهر وله باطن، ونقصد بـ«الظاهر» تجليات الفعل المادية الممكنة بالحس، ونقصد بـ«الباطن» محددات الفعل المادية والمعنوية والعضوية والنفسية الخ...

من خلال المحددات ،ومن خلال هذين المستويين يمكن لنا فهم البنيات العميقة للنص التراثي وللخطاب العلمي عند الطيب بن زهر الأندلسي.

وقد يتساءل البعض، ما هدف دراسة ظاهرة التداخل اللغوي عند الطبيب أبي مروان عبدالملك بن زهر الأندلسي؟ ومن خلال كتابه التيسير بالذات؟

إن مسألة التداخل اللغوي لها علاقة مباشرة بقضية الاقتراض اللغوي بالنسبة للغة العربية من لغات العالم الأخرى، وقد كانت موضوع مناقشات مذهبية وفكرانية (إيديولوجية) خارجة عن مباحث اللغة عند الفقهاء

---

(2) الدكتور عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة بيروت ط2 أيار (مايو) 1985 م، ص 38.

والمفسرين.(3)

لكن الفارق بين الطبيب ابن زهر وغيره من الذين بحثوا الموضوع، أنه لم يفرد له كتابا خاصا أو رسالة قائمة بذاتها، وإنما من خلال تعاملنا مع الكتاب، وجدناه كتابا طبيا قابلا للدراسة التطبيقية لمناقشة مسألة التداخل اللغوي، لما حواه من كم هائل للمصطلحات العلمية الأعجمية، إذ تمثل غربة لغوية (xénétisme linguistique) (4) ضمن السياق العام للنصوص الطبية، وهذا يفتح الباب واسعا لمناقشة «المنطوق» في النص، و«المسكوت» عنه، فاللغة مفتاح هذه الأسئلة المشروعة؟!

الموضوع:

1-مصادر الكتاب: الميزة التي ينفرد بها كتاب «التيسير» أن صاحبه أبا مروان يذكر مصادره في الغالب، وهذا دلالة على الأمانة العلمية والموضوعية التي يتميز بها، وقد ألفه بناء على طلب صديقه ابن رشد الفيلسوف (520 هـ -595 هـ / 1126 - 1198 م)، لجعله تفصيلا لكتاب الكليات في الطب وهو الكتاب الذي ألفه ابن رشد ووصف فيه بصورة عامة، ما كان معروفا عن الأمراض في زمانه وبما أنه لم يتطرق إلى التفاصيل في المعالجة كطبيب سريري ممتهن، فإنه طلب إلى صديقه ابن زهر أن يجعل كتابه مشتملا على اختياراته ومشاهداته

---

(3) لقد ناقش هذه المسألة من القدامى بصورة موضوعية علمية، مثل الخليل بن احمد (ت، 175 هـ / 790 م)، وسيبويه (ت177. هـ / 792 م) وابن جني (ت392. هـ / 1002م)، وقد كانت هذه الفئة لا تعتمد الوصف والتنظيرالمجردين، وتطورت هذه النزعة تطورا إيجابيا وانتقلت الى مستوى التحليل والتدوين خاصة على يد الجواليقي (ت. 540 هـ / 1145 م) في كتابه «المعرب من الكلام الأعجمي» والسيوطي (ت . 911 هـ / 1505 م) في «المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب»، والخفاجي (ت . 1069 هـ / 1658 م) في كتابه «شفاء الغليل في كلام العرب من الدخيل»، ولمن أراد المزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع الحساس والشائك، يرجع إلى: إبراهيم بن مراد: «المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية» دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان - الطبعة الأولى - 1985 م (جزءين)، ج1، ص ص 5 - 9.

(4) الغربة اللغوية هي: «صفة اللفظ الأعجمي (المقترض) الذي يبقى دائما أعجميا» أنظر: إبراهيم بن مراد: المصطلح الأعجمي، ج1، ص 82.

في علمي الأمراض والمداواة.(5)

ويمكن لنا تصنيف مصادره حسب نسبتها إلى أصحابها كما يلي:

1-أبقراط:

-كتاب أفيديميا(6)

2-جالينوس:

-الأعضاء الآلة(7)

-حيلة البرء(8)

-قوانين جالينوس (9)

-منافع الأعضاء (10)

-الميامير (11)

3-حنين ابن اسحق:

- العشر مقالات في العين (12)

4-عبدالملك أبو مروان:

- كتاب الزينة (13)

5-عبدالملك بن زهر، وقد ذكر أنه وقعت في ذلك رسائل كثيرة بين الشيخ عبدالملك والوزير أبي المطرف بن وافد (14).

---

(5) أبو مروان عبد الملك بن زهر: التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق الدكتور ميشيل الخوري، تقديم الدكتور محي الدين صابر، دار الفكر دمشق ،سورية الطبعة الأولى 1403 هـ / 1983 م ، ص ص: «ي - ك - ل» مقدمة المحقق.

(6) أبومروان: التيسير، ص 417

(7) أبومروان: المرجع السابق ص 270

(8) المرجع السابق، ص 27

(9) المرجع السابق ص 51

(10) المرجع السابق ص 56

(11) المرجع السابق ص ص 268، 270

(12) المرجع السابق، ص 65

(13) المرجع السابق ص 05

(14) المرجع السابق، ص ص 415 ، 416

وهنالك كتب مجهولة لم يرد ذكر عناوينها وإنما أشار إليها فقط كقوله: « رأيت ذلك في الكتب » (15) أو قوله:

« وقعت في ذلك رسائل كثيرة بين الشيخ عبدالملك والوزير أبي المطرف بن واقد،... والرسائل في أيدي الناس موجودة » (16).

أو مثل ذكره: « ينبغي قراءة الكتب المرسومة المشهورة لجالينوس » (17) أو كما يذكر في موضع آخر من الكتاب: « هذه النسخ التي كان يعول أبي عليها ويقيمها ،وعليها كان وقع اختياره رأوقفها بين يديه ومن بعده رحمه الله.(18)

2- موارد الاستخبار:

أما مصادر الاستخبار ونعني بها العلماء الذين نقل عنهم، سواء من خلال الاطلاع على آرائهم في مصادرهم، أو أخذ ه عنهم بالمشافهة والتجربة، وهؤلاء يمكن تصنيفهم كما يأتي:

1-جالينوس، 50 مرة
2-أبو العلاء زهر، والد الطبيب أبي مروان، 36 مرة
3-أبقراط، 12 مرة
4-عبدالملك بن زهر، الطيب الجد، 06 مرات
5-أرسط طاليس، 05 مرات
6-سفيان طبيب علي بن يوسف، 03 مرات
7-إبن فضيل، 01

أما الأطباء الذين ذكرهم في معرض الكلام، فمنهم أسقلبيوس، ذكره مرة واحدة (19)، وذكر أيضا بطليموس الفلكي مرة أثناء حديثه في سياق كلامه (20).

وسنعود فيما بعد لتحليل هذه المعطيات البيانية في مبحث التداخل الثقافي عند الطبيب أبي مروان ابن زهر، أما الآن سننتقل إلى موضوع الكتاب وهو المدخل لدراسة المبحث اللغوي وهو أساس وجوهر هذه الدراسة.

---

(15) المرجع السابق ص 310
(16) المرجع السابق ص ص 415، 416
(17) المرجع السابق ص 471
(18) المرجع السابق ص 480
(19)أبو مروان عبدالملك التيسير، ص 108
(20)أبو مروان نفس المصدر، ص 271

3-موضوع الكتاب: من خلال الإطلاع على محتوى الكتاب، نجده كتابا طبيا بمعني الكلمة، فهو مصنف بطريقة كلاسيكية حسب المنهج الجالينوسي في دراسة الإنسان إذ يبدأ بالرأس وعلله ويسير نازلا إلى أن يصل إلى الأمراض السفلى، أي من قمة الرأس إلى أخمص القدم بمنهج رأسي تنازلي.

المتصفح لهذا المؤلف يكتشف أن صاحبه قد ضمنه عددا كبيرا من تجاربه ومشاهداته وآرائه المصححة لما وقع فيه الأوائل من أخطاء، كما يجد عددا لا بأس به من اكتشافاته أو اختراعاته لطرق علاجية لم يسبق إليها،

لقد قسم كتابه التيسير إلى جزءين إثنين وملحق سماه «الجامع»، ويحوي القسم الأول مائة وخمس وخمسين (155) موضوعا طبيا، بينما القسم الثاني إحتوى مائة وثمانية (108) موضوع، أما الملحق فقد ضمنه سبعة وستين (67) وصفة طبية.

ولقد أقر أكثر من مرة أنه جالينوسي المذهب ويعتمد القياس والتجربة، عند معالجة الحالات المرضية المختلفة.

والذي يهمنا من دراسة كتاب «التيسير» لابن زهر الأندلسي، ليست المادة الطبية والعلاجية، بل الجانب المعجمي الإصطلاحي الذي من خلاله يمكن فهم العلاقات القائمة بين اللغة والثقافة العربيتين بغيرهما من اللغات والثقافات، ومن ثمة إدراك الآليات الداخلية للنص الطبي عند أبي مروان.

4-التداخل اللغوي: من خلال عملية إحصاء المصطلحات الواردة في الكتاب فقد خرجنا بالنسب التالية:

اللغات الأعجمية	عدد المصطلحات	النسبة ٪من 204
الفارسية	94	43,92
اليونانية	70	34,31
السريانية	11	05,39
الأرامية	08	03,92
اللاتينية	05	02,45
العبرية	05	02,45
السنسكريتية	05	02,45
الهندية	04	01,96
البربرية	01	00,49
المصرية القديمة	01	00,49
المجاميع	204	100

إن استقراء هذه اللوحة يبين أن اللغتين الأساسيتين المفترض منهما هما الفارسية واليونانية وتليهما السريانية والأرامية واللاتينية والعبرية والسنسكريتية، ثم تأتي بعد ذلك لغات ثانوية لا يعتد بها وهي الهندية والبربرية والمصرية القديمة، ولغلبة اللغتين الفارسية واليونانية ما يفسر تاريخيا وثقافيا وحضاريا، فالأولى لغة قوم تمازجوا بالعرب تمازجا قويا قبل الإسلام وبعده، وقد ظهر الإقتراض في اللغة العربية من اللغة الفارسية منذ العهد الجاهلي (21)، ثم إن النهضة الطبية العربية الإسلامية وحركة الترجمة، خاصة في العهد العباسي كانت على أيدي علماء قد تكونوا في مدرسة

21) انظر ظاهرة تأثر اللغة العربية باللغة الفارسية، صلاح الدين المنجر: المفصل في الألفاظ الفارسية المعربة ط 1 بيروت 1978 / ص 13 قد جمع المؤلف في كتابه الألفاظ الفارسية التي اقترضتها العربية اعتمادا على نصوص من الشعر الجاهلي والقرآن والحديث النبوي وأقوال الصحابة والشعر الأموي.

جنديسابور ببلاد فارس وكان غالبهم من السريان، وكانت منهم أسرمشهورة مثل آل بختشيوع وآل ماسويه.

-أما اللغة اليونانية فقد كانت لغة العلوم والثقافة والمعارف بدون منازع، وهي بذلك تمثل غلبة علمية وحضارية، بدءا مع حركة الترجمة العربية في القرن الثالث الهجري وبعده، فقد أقبل العرب على نقل الثقافة الطبية والصيدلية اليونانية أما بقية اللغات الأخرى بالنسبة لإبن زهر، فهي صنفان، أولهما ذو أهمية خاصة بالنسبة إليه، ويشمل السريانية والأرامية واللاتينية والعبرية والسنسكريتية، فاللاتينية يرجع مدار الاهتمام بها لأنها لغة ثقافية وحضارية في الأندلس، ولأنها كانت تستعمل من طرف الأندلسيين ممزوجة باللهجة الأندلسية المحلية، والعبرية مرجع تواجدها في المعجم الطبي والصيدلي، يعود إلى تواجد اليهود في المجتمع الأندلسي بصورة واضحة وجلية منذ البدايات الأولى للحركة الطبية في الأندلس، بل لقد كان لليهود دور كبيرفي ترجمة الكثير من التراث الطبي الإسلامي إلى العبرية، أما الأرامية والسنسكريتية والسريانية، فإنها تمثل جانبا مؤثرا بحكم عملية التواصل الثقافي الذي كان متبادلا بين الأندلس والمشرق ،ورحلة الأطباء المتبادلة.

-أما الظاهرة الملفتة للنظر، فهي تناقص حجم المصطلح البربري عند إبن زهر إلى حد يكاد ينعدم، مع أنه عاصر دولتين بربريتين ألا وهما المرابطية والموحدية، وقد كانت اللغة البربرية منتشرة الإستعمال في الأندلس زمن هاتين الدوليتن (22)، بالإضافة إلى أنه كان مقربا من الخليفة المرابطي علي بن يوسف وكذلك الخليفة الموحدي عبدالمؤمن، وهذا إن دل على شيء، فهو يدل على طبيعة العلاقة التي كانت بين ابن زهر واللغة البربرية، وهي أنه لم يكن على علم بهذه اللغة.

-ومن زواية أخرى، تثبت هذه اللغات، تفتح إبن زهر على اللغات الأعجمية، فهو بإيراده لأسماء الأشياء كما هي على أصلها فكأنه يؤسس لـ« لغة طبية عالمية، وهذا بسبب الظروف العملية الإجرائية آنذاك،

(22)ألبير مطلق: الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الملوك الطوائف ط1 بيروت، 1967، ص ص 29 - 30.

وليس مثل ما أراده كل من الفيلسوفين ديكارت (descartes) ولايبنتز (leibniz) الداعيين إلى إيجاد «لغة فلسفية عالمية» (23) وربما هذا ما يفسر ما يوجد في العصر الحديث من معاجم لغوية علمية، تحوي مفردات تقنية هي هي، سواء كتبت بالحرف العربي، أم بالحرف اللاتيني، فالأمر سيان.

والخلاصة التي نخرج بها حول منزلة المصطلح الأعجمي في كتاب التيسير لابن زهر، هي أن اللغة العربية في ميداني الطب والصيدلة، كما تبرز من خلال كتاب أبي مروان مضطرة إلى التعامل مع غيرها من اللغات بالأخذ منها والاعتماد عليها والتعامل معها لسد الفراغات المعجمية ولتلبية حاجات وضرورات حضارية، وهذا بدوره أكسب اللغة العربية مرونة وقدرة على استيعاب موروث الحضارات السابقة ومن ثمة أمكن التفكير بواسطة آليات العقل العربي في مسائل حضارية غير عربية!...

5-موقف ابن زهر من اللغات الأعجمية: لم يسجل ابن زهر في كتابه أي موقف نظري من اللغات الأعجمية، فكما يبدو من خلال استقراء النصوص، أنه عالم يسعى إلى إرضاء رغبته العلمية والتعبير عما يريده باستعمال لغة علمية وعملية في الوقت نفسه، فهو يستعمل المصطلح الأعجمي حيث يجب استعماله، ويوظف المصطلح العربي أيضا في موقعه المناسب من السياق ويمكن تحديد ذلك من خلال المظاهر التالية:

أ)غلبة المصطلحات العربية المداخل على المصطلحات الأعجمية، إذ ورد 497 مصطلحا عربيا و174 مصطلحا معربا ، فمن المصطلحات العربية نجد مثلا: «أكلة» (24) أو «اختلاج» (25) والتي تعني «تحرك موضع من جلد البدن

---

(23)إبراهيم مراد المصطلح الأعجمي، ج1، ص 157

(24)محمد العربي الخطابي لم يذكرها في كتابه: الطب والأطباء في الأندلس، أنظر: أبو مروان عبدالملك التيسير ص 493.

(25)اختلاج أنظر حوله: أبو مروان التيسير، ص 493 ومحمد العربي الخطابي: الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان - الطبعة الأولى 1988، ج 2 ص 290،وانظر كذلك للمؤلف نفسه: الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي ،دار الغرب الإسلامي بيروت ،لبنان ،الطبعة 1 ، 1990 م ص 532.

حركة ارتعاش وهو اضطراب العضو أو جزء منه لريح مستكنة فيه» (26)، أو «أدرة» والتي تعني: «انتفاخ يحدث في كيس الأنثيين لاجتماع رطوبة فيه أو ريح» (27).

أما المصطلحات المعربة، فهي مثل «أضفار الطيب» (28) و«إكليل الملك»(29) و«عشبة الطحال» (30) و«شجرة الرهبان» (31)، فقد استعملها ابن زهر من غير أن يستعمل ما يقابلها من اصطلاح أصلي أعجمي، وكما قلنا سابقا فإنه لا يعقب على أسماء المصطلحات الأعجمية إطلاقا وإنما يوردها كما هي لأنه يخاطب فئة المختصين من الأطباء وليس عامة الناس وقد صرح في موضع من كتابه بقوله: «إن الانتفاع به لمن لم يحذق شيئا من أعمال الطب بعيد، وإنه ليس على ما أمر به، ولا على غرض مما يريد» (32).

خلاصة القول إن إحتواء كتاب التيسير على هذا الكم الهائل من المصطلحات العربية، 497 مصطلح ومن المصطلحات المعربة 174 مصطلح، ليدل على سعة استيعاب اللغة العربية لأغراض وحاجات الحضارة الإنسانية وإنه لدليل آخر على قدرة التوليد والإشتقاق في اللغة العربية وهذا يزيد من حضوضها لتبقى فوق الزمان لا تنتهي ولا تتوقف بسبب ظروف آنية تعترضها، وبالنسبة لإبن زهر، فهو يبحث عن العملي في اللغة والعلم، فاللغة عنده وسيلة موظفة لترقية العلم الذي إختص فيه، كما يمكن القول أن اللغة العربية على يد إبن زهر الطبيب قلبت قاعدة التعامل الغالب عند بقية الأطباء والصيادلة الذين كانوا معاصرين له، وبين أنه يمكن للغة الأم أن نجد فيها ما قد يعوض عن اللغات الأجنبية الأخرى، وهو بذلك يحقق جانبا مهما في إرساء قواعد المعجم الطبي العربي بالأندلس.

---

(26) ،(27): أبو مروان: التيسير، ص 493، محمد العربي الخطابي، الأغذية والأدوية ص 533.

28)أبو مروان: التيسير ص 517

29)أبو مروان: المصدر السابق ص 518

30)أبو مروان: المصدر السابق ص 522

31)أبو مروان: المصدر السابق ص 527

32)أبو مروان: المصدر السابق ص 6

أما المصطلحات الأعجمية فهي كثيرة ومنها «أس» ، «أترج»، «إثمد» «أسارون»، «أسطوغودس» ، «أشق»، «إشقيل» ، «أغاريقون»، «أفتيمون» ، «أفسنتين» ، «أفيون» ، «أقاقيا» ، «أملج» ، «أنزروت» ، وغيرها من المصطلحات ذات الأصل الفارسي واليوناني واللاتيني وبقية اللغات القديمة مثل السنسكويتية والآرامية والعبرية والمصرية القديمة.

6-التداخل الثقافي: إن أهم ما يبرز ظاهرة التداخل الثقافي في كتاب علمي كـ«التيسير»، هي المصادر التي اعتمدها مؤلفه فيه، ولقد وجدنا بعض الصعوبة، فابن زهر في بعض الأحايين ضنين بذكر مصادره إذا قيس بعلماء آخرين الذين ينسبون كل ما ليس لهم إلى أصحابه، فهو يعزو الأقوال إلي مجهولين كأن يقول: «ذكر الأطباء» (33)، أو «زعموا» (34) أو «وزعم الأطباء» (35) أو «وذكر بعض الأطباء» (36)، ولكن في مواضع أخرى يذكر إبن زهر مصادره، وهي هامة جدا في مثل هذه الدراسة، ولقد سبق وأن قدمنا دراسة إحصائية لها وهي كما يلي:

6-1-المصادر اليونانية: اقترض أبومروان من ثلاثة أطباء ينتمون إلى الثقافة اليونانية، وها نحن نوردهم حسب تراتبهم في كتاب التيسير:

أ)جالينوس: وهو أشهر طبيب يوناني في تاريخ الطب العربي الإسلامي، وخاصة فيما يتصل بالمداواة والعلاج، إعتمده خمسين مرة (50) وذكر له خمسة كتب، وهي «الأعضاء الآلة» ، «حيلة البرء»، «قوانين جالينوس»، «منافع الأعضاء» و«الميامير».

ب)أبقراط: وهو طبيب يوناني (ت،377 ق م) اعتمده أبومروان اثنا عشر مرة (12)، ولم يذكر له إلا كتابا واحدا وهو كتاب «أفيديميا».

ج)أرسطوطاليس: وهو الفيلسوف اليوناني المقدوني (ت. 322 ق م) ذكر ابن زهر خمس مرات فقط (05) ولم يذكر له أي كتاب.

---

33)أبو مروان: التيسير ص 8
34)أبو مروان: المصدر السابق ص 8
35)أبو مروان: المصدر السابق ص 9
36)أبو مروان: المصدر السابق ص 12

6-2-المصادر الأندلسية: اقترض أبو مروان وأخذ عن أربعة أطباء أندلسيين وهم بحسب الترتيب كما يلي:

أ)أبو العلاء زهر: وهو والد الطبيب أبي مروان، ذكره (36) مرة، ولم يذكر له كتابا واحدا ما عدا إشارة إلى أن له رسالة شهيرة مع الوزير أبي المطرف.

ب)عبدالملك بن زهر: وهو الطبيب الجد لأبي مروان، ذكره ست مرات (06) من غير أن يذكر له مصنفا واحدا.

ج)سفيان: طبيب علي بن يوسف المرابطي، ذكره ثلاث مرات (03) ومن أن يذكر له كذلك أي مرجع.

د)إبن فضيل: وهو أحد أطباء الأندلسو ذكره مرة واحدة في معرض الرد عمن يقولو له بقوله في أحد المواضع الطبية.

6-3-المصادر المشرقية: لم يذكر إلا مصدرا واحدا وهو كتاب «العشر مقالات في العين» لحنين بن إسحاق العبادي» (37)، مرة واحدة فقط.

وهنا تتوقف مصادر إبن زهر الطبيب، فما هي نتائج هذا الاستقراء؟

6-4-نتائج الإستقراء:

أول نتيجة نخرج بها هي غلبة المصادر اليونانية على المصادر العربية الإسلامية، إذ أخذ كما بينا عن ثلاثة أطباء يونانيين، ومجموع كتبهم ستة كتب (06) إجمالا، والنتيجة الثانية هي الفرق الكبير بين عدد الشواهد اليونانية وعدد الشواهد العربية الإسلامية، فعدد الشواهد الجملي 113 شاهدا منها 67 شاهدا يونانيا، و46 شاهدا عربيا إسلاميا، والنتيجة الثالثة هي أن مصادر ابن زهر كلها يونانية أو عربية إسلامية، وليس بينها أي مصدر فارسي أو هندي، خلافا لما رأيناه من غلبة المصطلحات الفارسية على المصطلحات اليونانية عند الحديث عن ظاهرة التداخل اللغوي في كتاب التيسير، وهذا يعني أن اللغة الفارسية عند أبي مروان كانت أقل عجمة من اللغة اليونانية.

(37)أبو مروان: المصدر السابق، ص 65

وأنه وظفها عنده مثل اللغة العربية.

وأهم إستنتاج حول ظاهرة التداخل الثقافي في كتاب «التيسير» لإبن زهر، هو أن الثقافة اليونانية الطبية والصيدلية كانت ثقافة غالبة، وقد كانت الثقافة العربية معتمدة عليها آخذة منها، وهذا يعني أن التأثير المشرقي أو «الإشراقي» لم يمتد إلي بلاد الأندلس، بل إن المنهج الأرسطي والجالينوسي «العقلاني» كان هو أساس الحركة العلمية في بلاد الأندلس، وذلك له مبرراته التاريخية إذ أن الأندلس منذ البدايات الأولى كانت بالمرصاد لأي مصدر خرافي أو غنوصي دخيل على العقل العربي الإسلامي، فابن زهر بهذا يعبر عن حاجة عميقة كانت تختلج المشروع الحضاري الأندلسي، إنه مشروع إعادة تأسيس «العقلاني» في الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب والأندلس بالإعتماد على الأسس والآليات الأرسطية، بعدما قام «اللاعقلاني» في المشرق الإسلامي بعملية تحطيم ذاتية وغلبة النزعة الفيضية والغنوصية على العقل، ولكن هذا لا يعني أن إبن زهر كان ينظر بإعجاب وسحرية للثقافة الطبية اليونانية بل في أحايين كثيرة كان يخالف أستاذه جالينوس حيث يتبين وجه الحق بل ويصحح ما صار متعارفا عليه عند جمهور الأطباء ويصرح بأنهم على خطأ.

أما ما سكت عنه النص ولم يشر إليه من قريب أو من بعيد، فهو عدم ذكر أي طبيب مشرقي، كالرازي ،وابن سينا، وهذا السكوت له دلالته الكبيرة، فالاعتراض عليهما من طرف ابن زهر جاء ضمن إغفاله لهما، وهذا يؤكد وجهة المشروع الأندلسي المخالف في الاتجاه والهدف للمشروع المشرقي الأفلوطيني، إنه -إذن- صراع صامت بين الحقول المعرفية في الثقافة العربية الإسلامية، ولهذا فشلت أي حركة أو نزعة ذات أصول فلسفية فيضية أو غنوصية داخل المجتمع الأندلسي، وكانت الغلبة متقاسمة بين سلطة العقل الأرسطي وسلطة الفقهاء المالكيين في معظم الأحيان| |